

## فليطعموا جياعهم صواريخ



إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

لم تكن مفاجأة أن يقف حاكم كوريا الشمالية كيم يونغ أون خطيباً في اجتماع حزبي مع الآلاف من أعضاء القاعدة الشعبية في الحزب الحاكم، فيدق ناقوس الخطر من "مراجعة مميتة" قارنها بمراجعة التسعينات التي أودت بحياة مئات الآلاف، وفقاً لوكالة الأنباء المركزية الكورية.

ويمكن حصر أسباب أساسية لمراجعة كيم أون في ثلاثة، أولها تكاليف الهوس التسليحي النووي والصاروخي والتقليدي الذي أنهك الخزائنة وأقعدها على الحديدية. وثانيها العزلة التي فرضتها على الشعب وعلى الحكومة قبضته الحديدية التي فاقت جميع الحدود، والتي أكملت طوقها جائحة كورونا، وثالثها عقوبات الولايات المتحدة وأوروبا.

وكوريا الشمالية ليست الوحيدة في التاريخ الحديث بين الدول التي أوصلها إلى مثل هذه المجاعة حكماؤها المجانين الذين تستكثرون روح التحدي والمخاطرة، والمقاتلة مع العالم الخارجي دون حساب عقلاني لعناصر القوة والضعف في انظمتهم ولما بين أيدي أعدائهم، وبعد أن يكونوا قد انفقوا جُل أموال الدولة على القنابل والصواريخ والمخابرات، وعلى شراء وإلزام المناصرين في الخارج. ثم بعد أن تتوالى الإزمات الخارجية والداخلية يتزايد خوفهم من مواطنيهم فيوظفون ما يتبقى من أموال الخزينة على قمع الجماهير المذمومة من أجل حماية عروشهم من انفجارها ثم تكون النهاية الطبيعية بعد ذلك، ويستطون.

**ليس أمام الرئيس الكوري الشمالي كيم يونغ أون والمرشد الإيراني علي خامنئي وزملائهما الرؤساء المشاكسين المجانين سوى أن يطعموا جياعهم صواريخ مثلما فعل قبلهم حكام كثيرون انتهوا على أعواد المشانق**

أكبر مثال تاريخي ضخم على ذلك هو سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991 بعد كل ما بناه من ترسانات نووية وصاروخية وجاسوسية هائلة في صراعه الدامي مع الغرب، واعداء جماهير شعوبه بقرب انتصاره على الرأسمالية الأميركية الأوربية وقيام دكتاتورية البروليتاريا الاممية على أنقاضها.

ولكن الولايات المتحدة ودول أوروبا الرأسمالية لم تلجأ معه إلى حروب الجيوش والصواريخ العابرة للقارات والسلاح النووي لإسقاطه، بل استخدمت أسلوب الحروب الناعمة الخبيثة طويلة النفس.

وروبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأميركي في عهد الرئيس جون كندی هو المخترع النظيم لحرب السباق التسليحي المفرط الذي أغرق الاتحاد السوفييتي في الإنفاق العسكري والامني والتوسعي، وانتتهن بالقضاء عليه. فقد

قال في محاضرة القاها أمام أساتذة كلية الدفاع الوطني في واشنطن في 14 من سبتمبر 1961 "علينا أن نرغم الاتحاد السوفييتي على تغيير أولوياته، فالنظام الشيوعي يعد جماهيره بمجتمع من الرفاهية ينتقي فيه الفقر، وبمجتمع المساواة الذي ينتقي فيه التمايز الطبقي.

ولكي يحقق هذا الهدف يجب عليه أن يضع التنمية أولوية قبل الأمن. وهنا ينبغي علينا أن نرغمه على أن يجعل الأمن أولوية ثم يضع التنمية في الدرجة الثانية. ويجب علينا، من أجل ذلك، أن نشده إلى سباق تسلح يقطع أنفاسه ويرهن موارده، ويتركه في النهاية ترسانة نووية دون رغيف خبز أو قطعة لحم."

وهكذا كان. فقد اضطر ضيق الحال أساتذة جامعات وضباط وأطباء وأدباء ومفكرين كباراً إلى العيش مع عوائلهم وعوائل أخرى في غرفة واحدة، لا في شقة واحدة، في الوقت الذي كانت فيه القيادة تنفق موارد البلاد على التصنيع العسكري، وعلى تمويل الأحزاب الشيوعية في العالم، وعلى شراء صداقات حكومات الدول الفقيرة، مثل كوبا والعراق وسوريا ومصر واليمن، بالمساعدات والهبات التي كانت في أغلبها أسلحة، سعياً منها إلى أن تثبت لشعبها وللعالم أن الاتحاد السوفييتي قوة عالمية لا تقهر، ولكن مع تشديد الأزمته على بطون مواطنيها، ثم إجبارهم على تحمل صعوبات العيش، والصبر على الشدائد، في انتظار الغد المأمول، مع تقشي الفساد والرشوة والتذمر الصامت، وصولاً إلى تصدع أسس تلك الإمبراطورية العالمية الكبيرة وتفككها، ثم سقوطها في أسابيع. ويقال إن الصين هي الوحيدة التي استوعبت الدرس وفهمت أن على الدولة التي تنافس أعداءها بقوة السلاح أن تنافسهم، قبل ذلك، بما توفره لمواطنيها من فرص عمل وإنتاج ونجاح ورخاء. إذ لا يمكن لدولة أن تنتصر في الخارج بشعب منكم معدم مشتت مُحبط وناقم على قيادته في الداخل.

وإذا كان الكوريون الشماليون هم السابِقون إلى "المراجعة المميتة" فإن الإيرانيين هم اللاحقون. فإيران اليوم مثل فاضح على قلة عقل القيادة وقصور نظرها وسقوطها في الفخ الذي نصبه الوزير الأميركي روبرت ماكنمارا لعدوه الاتحاد السوفييتي قبل ستة عقود من الزمان.

فاستناداً إلى تقارير المعاهد الدولية فإن تعاسة الإيرانيين تتضاعف يوماً بعد يوم، مع تقيد الحريات والإهيارات المتلاحقة في العملة وتزايد العزلة الإقليمية التي تتسبب في ارتفاع معدلات البطالة، فضلاً عن الآثار السيئة للعقوبات الدولية المفروضة على النظام. ويُؤكد التقارير الدولية المحادية، سنوياً، أن إيران تحتل المرتبة الأولى في الفقر وصعوبة الظروف المعيشية بين 19 بلداً في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. نعم، لقد تمكن النظام الإيراني من بناء ترسانة ضخمة من الصواريخ ونجح في تهريبها إلى ميليشياته في اليمن ولبنان وسوريا والعراق وقرعة، وامتلك أسطولاً بحرياً ضارياً، وأصبح من أفضل صنّاع الطائرات المميتة، وأنشأ عدداً من الميليشيات الموالية له في دول خارجية عديدة، ولكن ما جدوى كل ذلك إذا لم يستطع أن يوفر الدواء والغذاء للملايين من المرضى والجائعين، والوظائف للملايين من العاطلين عن العمل؟

فقد تجرأ في العام الماضي برويز فتح رئيس "مؤسسة المستضعفين" التي تعد أساس إمبراطورية أموال المرشد الإيراني علي خامنئي فاعلن أن 40 مليون إيراني من مجموع سكان إيران البالغ عددهم 80 مليوناً يعيشون تحت خط الفقر، وفقاً لما نقلته عنه وكالة أنباء فارس الإيرانية.

إذن فليس أمام الرئيس الكوري الشمالي كيم يونغ أون والمرشد الإيراني علي خامنئي وزملائهما الرؤساء المشاكسين المجانين سوى أن يطعموا جياعهم صواريخ، مثلما فعل قبلهم، حكام كثيرون، فانتهوا على أعواد المشانق أو في ثلاثيات جثث الموتى أو هاربين من شعوبهم ملعونين إلى يوم الدين.



عديث نصار  
كاتب لبناني

بداية لا بد من التذكير أن الفضل في إضفاء معنى سياسي على تعبير "ممانعة" يعود إلى المفكر العربي الراحل سلامة كيلة في وصفه للسلوك السياسي لنظام بشار الأسد حيال السياسة الأميركية التي عملت على "تعديل سلوك" هذا النظام بما يتوافق مع سياساتها العامة في المنطقة. وكان كيلة قد تطرق إلى ذلك في إحدى مقابلاته الصحافية سنة 2015 حين قال "اعتقد أنني من ابتكر بالفعل مصطلح "الممانعة"، وذلك في ندوة عقدتها في دمشق عام 2002، حيث كنت أتكلم عن السيطرة العسكرية الأميركية على العالم، وكيف تعالج الولايات المتحدة النظم الممانعة، أي النظم التي تريد أن تتكيف مع السيطرة الأميركية، لكن تريد أن تحسن من وضعها في ظل تلك السيطرة، وهذا بالضبط ما قصدته بالمصطلح."

ثم أضف "لكن فوجئت باستخدامه من قبل النظام السوري ووسائل إعلامه عام 2005 بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، والخلاف الأميركي مع النظام، باكتشاف الأخير أن الولايات المتحدة تريد تغييره، وانتقال النظام من محاولة التكيف مع السياسة الأميركية وقبول شروطها إلى الكلام عن الممانعة."

والممانعة كانت تعني أن النظام لا يريد طرح مفهوم المقاومة وقتها". مُشيراً إلى أن استراتيجية بشار الأسد كانت قائمة على التفاهم مع الأميركيين خصوصاً بعد احتلالهم للعراق، في حين أن الأميركيين كانوا يريدون تعديل سلوك النظام في سوريا وشكله. من هنا لجأ النظام إلى مصطلح الممانعة تهرباً من مصطلح المقاومة، بحيث يبقى على الباب مواربا حيال السياسة الأميركية في المنطقة.

وعليه، فإن القول العربي المعروف "يتمنعن وهن الراغبات" لا يجد له تمثلاً في الواقع السياسي أكثر انطباقاً في معناه من سياسة نظام الأسد حيال "المؤامرة الصهيونية الأميركية". إذ يعمل على الانفتاح عليها "بشروط" قد لا تتجاوز في مرحلة من المراحل إدامة سيطرته في سوريا أو على بعض من أجزائها. وهو بذلك فقط كان جديراً باسم "نظام الممانعة".

يحسب حزب الله اللبناني لنفسه ولأسياده الذين يحتلون إيران وكذلك الميليشيات الحوثية في اليمن، كما لبعض الميليشيات العراقية التابعة للحرس الثوري الإيراني، صفة "المقاومة"، ويحفظ له اتباعه والمناصرين في لبنان والبلاد العربية هذه الصفة ولا ينادونه إلا بها. أما من هم دون ذلك مرتبة، كما نظام الأسد وميليشياته والأحزاب اليسارية المؤيدة له ولـ"مقاومة" حزب الله والملاهي فتحفظ لنفسها وتكتفي بصفة "ممانعة". وتتذوق قوى الممانعة من حيث الموقع والأداء والدور، لكنها جميعاً ترفع الخطاب نفسه ولو بالوان مختلفة تتراوح بين الأحمر والبرتقالي والأخضر وصولاً إلى الأسود.. وتتشارك جميعها باعتماد أدبية "المؤامرة الصهيونية الأميركية" التي لها جذور تاريخية في الوعي السياسي

## بؤس الفكر الممانع



العربي إلى أن وضع نظام الملاي الإيراني يده عليها فبات هو الأب الروحي لهذه الأدبية السياسية. إذن هناك مستويات من الممانعة وهناك صنوف من الممانعين ولكنهم جميعاً يتفقون على معطى أساسي يقوم عليه الفكر الممانع يرتكز على مفهوم المؤامرة وتحديداً المؤامرة الصهيونية التي هي بنظرهم قادرة ليس فقط على تحريك قوى سياسية وعسكرية وقبائلية تستهدف نظام الممانعة الأسدي و"محور المقاومة" الذي تتزعمه ماфия الملاي المسيطرة في طهران، إنما بإمكانها تحريك الملايين من البشر المفقرين من سيدي بوزيد وعموم تونس إلى مصر إلى ليبيا إلى اليمن وصولاً إلى "سوريا الأسد".

ولكنها عجزت حتى الآن عن تحقيق أهدافها بفضل صمود نظام الممانعة الأسدي بدعم من محور المقاومة الممتد من طهران إلى الضاحية الجنوبية لبيروت.

وإذا كانت هناك مستويات وصنوف من الممانعة والممانعين فإن نظرت فيهم تجد منهم المنتفع في السياسة والنفوذ، والمتمسك الممسك بتماثلك الجبهة المذهبية خشية البُتم إذا تفككت، والمُنظر اليساري الذي ينظر إلى نفسه كاستعداد لحركة تحرر وطني تالشت كرائزها قبل انتهاء الحرب الباردة بتفكك الاتحاد السوفييتي السابق وانتهاء محوره "الاشتراكي".

**التاريخ يتجمد عند منظري الممانعة في مرحلة الستينات والسبعينات من القرن الماضي، فمهم غير قادرين على رؤية التحولات الضخمة التي اجتاحت العالم على مدى نصف قرن شهد انهيار الاتحاد السوفييتي ومحوره كما شهد تبدلاً طويلاً في العمق الطبيعية النظام الرأسمالي العالمي قبيل وبعد استكمال سيطرته على العالم نتيجة ذلك الانهيار، كما ظلوا عاجزين عن رؤية التحول العميق في طبيعة النظام الصيني نفسه الذي لا يزال على رأسه حزب شيوعي تخلى تماماً عن التحول الاشتراكي لمصلحة نظام لبيبرالي منحصر كلياً في النظام العالمي ويعمل بمضادة على استيفاء كل مقومات الدولة الإمبريالية بدءاً من تصدير رأس المال وصولاً إلى التحكم بموارد البلدان الأخرى.**

وحيث أطلق سلامة كيلة تسمية "إمبريالية" على التداخلات العسكرية لروسيا البوتينية في بلاد القوقاز وأوكرانيا وسوريا ومحاولات الترويج لصناعة الأسلحة الروسية من خلال تجربة أشد أنواعها فتكاً على المدن السورية والبني المدنية فيها، قامت قيامة هؤلاء المنظرين دفاعاً عن روسيا "التنمية المستقلة" وعن الرفيق فلاديمير بوتين؛ شاجبين إطلاق صفة "إمبريالية" على السياسات العدوانية الروسية حيال شعوب تلك البلدان. فالإمبريالية في نظرهم هي الولايات المتحدة ولا شيء سوى الولايات المتحدة، في حين أن التعريف الماركسي للإمبريالية يجب أن ينطلق من طبيعة الأنظمة المسيطرة: فكل نظام رأسمالي هو "بالقوة" إمبريالية، وإن لم يستطع فلن يكون إلا تابعاً مركزاً أو لمرکز إمبريالية قائمة.

المؤامرات موجودة تاريخياً، لكنها ليست محور الكون. اتفاقية سايكس بيكو مؤامرة، وعد بلفور مؤامرة، إقامة كيان اقتلاعي إحلالي وعنصري عدواني في قلب البلاد العربية، فلسطين، مؤامرة، الاعتراف بالدولة الصهيونية مؤامرة (شارك فيها الاتحاد السوفييتي نفسه...)، أما المؤامرة الصهيونية فهي استمرار دعم الولايات المتحدة للكيان الغاصب على الرغم من كل مجازره وحروبه العدوانية على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية واستمرار السياسة الأميركية الهادفة إلى تأكيد تفوق هذا الكيان على الدول العربية مجتمعة في جميع النواحي. لكن بؤس الفكر الممانع يتجلى في عدم قدرته على رؤية المؤامرة الصهيونية التي تظهر جلية في فتح أبواب العراق بعد احتلاله للحرس

الثوري الإيراني وميليشياته التي استباحت العراق وسوريا لاحقاً، ولا يرى كيف ترك حزب الله يندفع داخل سوريا لقمع شعبيها وقتله وتشريدته وهو الذي قار على نظام الأسد بعد أن وصل به القهر والإملاق حدًا لا يمكن تحمله نتيجة سياسات هذا النظام الاقتصادية النيولبرالية المذمومة والقمع الوحشي الذي مارسه أجهزته على الناس. إن استمرار وجود بشار الأسد ونظام حكمه الدموي في سوريا ومحاوله إعادة تاهيله على الرغم من كل الجرائم التي ارتكبها أقله طفلة عقد من الزمن، ومنها استجلابه كل هذه الاحتلالات إلى سوريا وتشريد شعبيها، وحده كاف ليرى الجميع تجلياً فاقها للمؤامرة الصهيونية الأميركية على الشعب السوري وكل شعوب المنطقة، الأمر الذي يرفض منظرو الممانعة أن يروه. إنه بالفعل بؤس الفكر الممانع.

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
أسسها 1977

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيوقبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk